ويألف العقل خدمة الهوى ويأنس به فيساعده لينشرح الصدر بالهوى ويقوى سلطان الشيطان فيزيِّن له ويوحي له زخرف القول غروراً ، ليضعف سلطان الإيمان ويخبو نور اليقين ، حينها يعمى القلب تماماً :

﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

[الفرقان : ٤٣ـ٤٤] .

٣ـ قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر ، فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير ، فتنبعث بشهوتها إلى خاطر الشر ، فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم. . . وهكذا بين جذب للشر وجذب للخير ، فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية غلب الشيطان ، وإلا كان من حزب الله وأوليائه ، كذلك فمن خُلق للجنة يُسِّرت له أسباب الطاعات ، ومن خُلق للنار يُسِّرت له أسباب المعاصي :

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾[1] [الأنعام : ١٢٥] .

* * *

هل تلومني إذا هزلت ؟!

قال أبو حازم (سلمة بن دينار) عالم المدينة المنوَّرة وقاصّها :

قدمت على الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو بخُناصرة[2]

---

(١) باختصار من إحياء علوم الدين : ٣/ ١٦٨ .

(٢) خناصرة : بلدة صغيرة في سورية تابعة لحلب ، في محاذاة قِنَّسْرِين من ناحية البادية .

من أعمال حلب ، وكان قد تقدمت به السن ، وبعد بيني وبين لقائه العهد ، فوجدته في صدر البيت ، غير أني لم أعرفه لتغيُّر حاله كما عهدته عليه يوم كان والياً على المدينة ، فرحَّب بي ، وقال : ادن مني يا أبا حازم ، فلما دنوت منه ، قلت : ألست أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ؟ فقال : بلى ، فقلت : ما الذي حلَّ بك ؟

ألم يكن وجهك بهيّاً ـ أو وضيّاً ـ وثوبك نقيّاً ، وإهابك طرياً ، وطعامك شهيّاً ، ومركبك وطيّاً ؟

فقال عمر : بلى ، فقلت : فما الذي غيَّر ما بك بعد أن غدوت تملك الأصفر والأبيض وأصبحت أميراً للمؤمنين ؟!

فقال : وما الذي تغيَّر يا أبا حازم ؟! فقلت : جسمك الذي نحل ، وجلدك الذي اخشوشن ، ووجهك الذي اصفرَّ ، وعيناك اللتان خبا ومضهما .

فبكى عمر وقال : كيف لو رأيتني في قبري بعد ثلاث ، وقد سالت حدقتاي على وجنتيّ ، وتفسَّخ بطني وتشقق ، وانطلق الدود يرتع في بدني ؟

إنك لو رأيتني آنذاك ـ يا أبا حازم ـ لكنت أشدَّ إنكاراً لي من يومك هذا ، ثم رفع بصره إليَّ وقال :

ألم تخبرني يا أبا حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« إن من ورائكم عقبة كؤوداً ، مضرسة ، لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول » .

ثم بكى عمر حتى غشي عليه ، ثم أفاق وقال :